

أسلوب النّهي في المقدّمة الطلّية للشّعر الجاهلي دراسة نحوية دلالية

الباحثة: هدى حسن موسى
أ.د. محمود حمود عراك
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

تعدّ المقدّمة الطلّية في الشّعر الجاهلي سمة بارزة انماز بها شعر ذلك العصر، وأنّ دراسة ألوب النّهي تتيح للدارس إمكانية النّفاذ إلى الموقف النّفسي للشّاعر فتحتاج إلى دراسة متأنية تأخذ بعين الاعتبار كلّ ما من شأنه أن يساعد في كشف الدلالات الضمنيّة، فضلاً عن الدلالات الأصليّة وفهم الوظائف التي تؤوّل إليها الوحدات اللّغوية داخل البيت الشّعري. وتكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على دراسة أسلوب النّهي في المقدّمة الطلّية التي تُعدّ من أهم فنون العصر الجاهلي، ولغرض تحقيق هذا الهدف تمّ القيام بدراسة "أسلوب النّهي في المقدّمة الطلّية للشّعر الجاهلي" ودلالة استعماله، ويزيد من أهمية هذه الدراسة أنّها تربط بين الجانب النّحوي والدلالي فتكشف عن الكوامن النّفسيّة للشّعراء عند وقوفهم على الأطلال، وبيان الأسلوب الطلّبي وأغراضه الحقيقيّة والمجازيّة، وكشف جمالية توظيفها في المقدّمة الطلّية. وقد تمّ التّوصل إلى إنّ للنّهي صيغة واحدة هي لا النّاهية الموضوعة لترك الفعل وتختصّ بالدخول على الفعل المضارع فتجزمه وتخلصه للاستقبال، كما بيّن أنّ أسلوب النّهي قد جاء بغير صيغته الأصليّة فقد جاء بصيغة الخبر التي يُراد بها النّهي، وبأسلوب بعض أفعال الأمر، وأيضاً جاء بأسلوب الاستفهام، وإنّ أسلوب النّهي في المقدّمة الطلّية لم يرد للنّهي الحقيقي، وإنّما خرج إلى أغراض شعريّة أخرى، فقد خرج إلى معنى الالتماس، وإلى معنى النّصح والإرشاد. ويبدو أنّ سبب ذلك يعود إلى أنّ الشّاعر حين وقوفه على الطلل يقف منكسراً حزيناً فلا مجال للنّهي الحقيقي هنا؛ لأنّ الموقف يتطلّب منه أن يكون حتّى في نهيهِ ملتصقاً، وأحياناً ناصحاً ومرشداً، وأنهيته البحث بخاتمة وثبت المصادر والمراجع.



**The method of prohibition in the pre-treatment of pre-Islamic poetry
A Grammatical Study**

**Huda Hassan Musa Odeh
Dr. Mahmoud Hamoud Arak**

Abstract

The introductory introduction in pre-Islamic poetry is a prominent feature of the poetry of that era. The study of the forbidden a job allows the learner to run out of the psychological position of the poet. It requires a careful study that takes into account everything that would help in revealing the implicit connotations, to which the linguistic units within the poetic house. The importance of research is to highlight the study of the method of prohibition in the preface of the most important of the art of the pre-Islamic era, and for the purpose of achieving this goal was the study of "the method of prohibition in the preface to the pre-Islamic poetry and indications of use", and increases the importance of this study that connects the grammar And the semantic reveals the psychological depths of the poets when they stand on the ruins, and the statement of the methods and the real and moral purposes, and revealed the aesthetics of employment in the forefront of Altilip. It has been reached that the prohibition of one formula is not the end of the set to leave the act and specializes in entering the act of the present Vtjzmnh and disposal for reception, and also pointed out that the method of prohibition has come without the original wording has come in the form of news that is intended to forbid, and in the manner of some of the acts of command, Question, and that the method of prohibition in the pretensions did not respond to the real prohibition, But went to other poetic purposes, he went out to the meaning of the petition, and the meaning of advice and guidance. It seems that the reason for this is that the poet when standing on the drum stands broken sad, there is no room for the real prohibition here, because the situation requires him to be even in his mouth seeking, and sometimes advice and guidance, and ended the research conclusion.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيب الطاهرين وأصحابه الميامين، وبعد:

الشعر الجاهلي كما هو معروف من أقدم الأشعار التي وصلت إلينا ويعدّ البداية الراسخة والمؤسّسة لشعر العصور التي توالفت فيما بعد، كما يُعدّ من أكثر العصور ازدهاراً من الناحية الأدبية والثقافية ومن ثمّ حظي هذا العصر باهتمام الباحثين والدارسين العرب والمستشرقين، وكذلك مندوقى الأدب وعدّوه القمّة الشامخة للفن العربي. وقد انماز هذا العصر بوجود المقدمة الطلّية التي لا تكاد تخلو قصيدة منها، فهي تعبير لغوي تتوارى خلفها وظائف دلالية يتوخّى الشاعر منها الإفصاح عن رؤية معينة للوجود والحياة والإنسان، والواقع الحياتي في صياغة شعرية أدبية متميّزة. وقد ارتأيت في هذا البحث أن أنقّص أسلوب النّهي في المقدمة الطلّية في الشعر الجاهلي؛ لكونها تعدّ شاهداً قوياً على ما خلفه الشعراء الجاهليون، وسمة بارزة انماز بها شعر ذلك العصر، وهي تتيح للدارس إمكانية النّقاد إلى الموقف النفسي للشاعر فتحتاج إلى دراسة متأنية تأخذ بعين الاعتبار كلّ ما من شأنه أن يساعد في كشف عن أسلوب النّهي، ويرصد الدلالة الضمنية، فضلاً عن الدلالة الأصلية وفهم الوظائف التي تؤوّل إليها الوحدات اللغوية داخل البيت الشعري. ونكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على دراسة أسلوب النّهي في المقدمة الطلّية التي تُعدّ من أهم فنون العصر الجاهلي، فكان موضوع البحث "أسلوب النّهي في المقدمة الطلّية للشعر الجاهلي" ودلالات استعمالها، ويزيد من أهمية هذه الدراسة أنّها تربط بين الجانب النحوي والدلالي فتكشف عن الكوامن النفسية للشعراء عند وقوفهم على الأطلال، وبيان الأسلوب الطّبي وأغراضه الحقيقية والمجازية، وكشف جمالية توظيفها في المقدمة الطلّية. ومن دوافع اختيار الموضوع فهي: جمالية اللغة العربية ومتعة التّطبيق في شعر العصر الجاهلي لما يتّصف به من فصاحة والجمال، واكتساب معرفة التّراث العربي القديم، قلّة الدراسات النحوية الدلالية التي خصّنت المقدمة الطلّية، على الرّغم ممّا تحمله من سمات أسلوبية ونحوية وبلاغية، وحاجة المكتبة لمثل هذا النوع من البحوث. وقد قسم البحث على شكل فقرات فقد تناولت فيه مفهوم أسلوب النّهي في اللغة والإصلاح، وصيغته (لا تفعل)، وكذلك مجيء أسلوب النّهي بلفظ الخبر وبأسلوب الاستفهام وبعض أفعال الأمر، كما عرضت لأغراضه المجازية، وأنهيت البحث بخاتمة وثبتت المصادر والمراجع.

• مفهوم النهي لغةً واصطلاحاً:

النهي في أصل اللغة الكفّ عن الفعل وهو ضدّ الأمر^(١)، قال الخليل: "النهي: خلاف الأمر، بمعنى المنع، نقول نهيت الرجل عن الفعل، فأنهاه نهياً^(٢)، وقال الراغب الأصفهاني: "النهي: الرّجوع عن الشيء قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾^(٣)"^(٤).
أما اصطلاحاً عند النحاة والبلاغيين فيراد به النقي قال سيبويه: "إنّ (لا تَضْرِبْ) نفي لقوله: (اضْرِبْ)"^(٥)، فالنهي "ضد الأمر، وهو قول القائل لمن دونه: لا تَفْعَلْ"^(٦)، أو هو الأسلوب الإنشائي الذي يُطلب به الكفّ عن العمل، بصيغة لا الناهية الداخلة على الفعل المضارع المرفوع فتجزمه^(٧). وعرفه ابن السّجريّ (ت ٥٤٢هـ) بقوله: "هو المنع من الفعل بقول مخصوص، مع علوّ الرتبة، وصيغته: لا تَفْعَلْ ولا يفعل فلان"^(٨).

أما البلاغيون فقد اشتراطوا علوّ الرتبة وقال السكاكّي: "للنهي حرف واحد وهو لا الجازم في قولك لا تَفْعَلْ والنهي محدّدٌ به حذو الأمر في أن أصل استعمال لا تَفْعَلْ أن يكون على سبيل وجاء في شروح التلخيص النهي هو "طلب الكفّ عن الفعل استعلاء وله حرف واحد وهو لا الجازمة في قولك لا تَفْعَلْ وهو كالأمر في الاستعلاء"^(٩) أو هو قول ينبئ عن المنع من الفعل على جهة الاستعلاء"^(١٠).

أما المحدثون فقد عرفوا النهي بأنّه "طلب الكفّ عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية"^(١١).

• أداة النهي (لا الناهية):

أجمع النحويون والبلاغيون أن للنهي صيغة واحدة (لا تَفْعَلْ)، وهي لا الجازمة الموضوعية لترك الفعل وتخصّص بالدخول على الفعل المضارع فتجزمه وتخلّصه للاستقبال، قال المبرّد: "فأما حرف النهي فهو (لا) وهو يقع على فعل الشاهد والغائب وذلك قولك لا يَقُمْ زيد ولا تَقُمْ يَا رَجُلُ ولا تقومي يَا امْرَأَةً فالفعل بعده مجزوم به"^(١٢)، وقال ابن هشام (ت ٧٦١هـ): "من أوجه (لا) أن تكون موضوعة لطلب التّرك وتخصّص بالدخول على المضارع وتقتضي جزمه واستقباله"^(١٣)، و وافقهم البلاغيون في ذلك إلا أنهم اشتراطوا الاستعلاء قال السكاكّي: "النهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك لا تَفْعَلْ، والنهي محدّدٌ به حذو الأمر في أن أصل استعمال (لا تَفْعَلْ) أن يكون على سبيل الاستعلاء"^(١٤)، ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١٥).

ويرى الدكتور قيس الأوسي أنّ الإسكان أو الجزم ليس من عمل لا الناهية في صيغة النهي (لا تفعل)، وإنما التزم فيها للدلالة على التشديد في الطلب، كما التزم فيها بصيغة الأمر (افعل)، وذلك لغرض معنوي^(١٧)، ويؤكد رأي الدكتور قيس الأوسي ما ألمح إليه النحاة فقد: "ذهب أبو سعيد السيرافي" إلى أنّ لام الأمر إنّما جُزمت؛ لأنّ الأمر للمخاطب موقوف الآخر نحو اذهب فجعل لفظ المعرب كلفظ المبني لأنّه مثله في المعنى وحملت عليها لا في النهي من حيث كانت ضدّاً لها"^(١٨).

كما يرى الدكتور إبراهيم مصطفى أنّهم: "قد جعلوا الإسكان والتشديد، والبتّ في الطلب، كما ترى التزامه في الأمر، وفي لَتَفْعُلْ ولا تَفْعُلْ. وأنت تعلم ما يستدعيه الأمر في أغلب حاله من البتّ والتشديد والجزم. وربما أتوا بالسكون في غير الأمر دلالة على التأكيد وتقوية الكلام"^(١٩).

وذهب أكثر النحاة إلى أن لا الناهية تُستعمل مع الفعل المضارع المسند إلى المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢٠)، ومع الفعل المضارع المسند إلى الغائب، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢١)، وقلّ استعمالها مع الفعل المضارع المسند إلى المتكلم، نحو قولك: (لا أرينك هاهنا)^(٢٢)، بمعنى لا تكن هاهنا، حتى لا أراك^(٢٣)، وهو "مما أقيم فيه المسبّب مقام السبب"^(٢٤). وقد ورد النهي في المقدّمة الطلّية للشعر الجاهلي بـ(لا) ومن ذلك قول طرفة بن العبد^(٢٥):

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجْدِدِ

وردت صيغة النهي في مادة (لا تهلك)، بصيغة (لا تفعل) المسند إلى المفرد المخاطب، فأصحاب الشّاعر قد أوقفوا رواحلهم عليه وبنهونه عن الأسي والحزن، ويقولون له لا تهلك من شدة اللوعة والحزن وتكلف الصبر والمشاق، فصيغة النهي قد خرجت من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي لقصد النصح والإرشاد، وذلك لأنّ الطلب صادر من أشخاصٍ مساوين له في المنزلة من دون استعلاء أو إلزام، وإنما طلباً للنصح والإرشاد إلى الحياة المثلى. وكقول عنتر بن شداد^(٢٦):

يَا صَاحِبِي لَا تَبِكْ رِبْعاً قَدْ خَلَا
وَدَعِ الْمَنَازِلَ تَشْتَكِي طَوْلَ الْبَلِي

نلاحظ صيغة النهي في قوله (لا تبك)، قد أسندت إلى الضمير المخاطب، فالشّاعر ينهى صاحبه عن البكاء على المنزل الذي درس وئلي، فالبكاء لا ينفع في رد الديار وأماكن الصحب والسمر، فأسلوب النهي قد خرج من المعنى الحقيقي إلى المجاز المرسل، وذلك لقصد الالتماس، لأنّ النهي صادر من شخصٍ مساوٍ له في المنزلة، من دون استعلاء وإلزام. وكقول عمرو بن الأهمتم^(٢٧):

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَجْهَلْ وَاسْتِ بِجَهَالِ
فَقُلْتُ لَهُمْ عَهْدِي بِرَيْبِ تَرْتَعِي
مَنَازِلَهَا مِنْ ذِي سُدَيْرِ قَدَى ضَالِ

إذا تدبرنا قول الشاعر نلاحظ ورود النهي في قوله (لا تجهل) فأصحاب الشاعر قد أوقفوا رواحهم ولكنهم يقولون له أن ينسى الديار فلا فائدة من الوقوف عليها إلا أنه يرفض ذلك. فالملاحظ هنا إن صيغة النهي (لا تجهل) لا يُراد بها المعنى الحقيقي، وإنما خرج الأمر إلى معنى النصيح والإرشاد؛ وذلك لأن أصحاب الشاعر يُريدون نصحه بأن يترك الذكريات وينسى الماضي، فالشاعر اختار هنا مجموعة من الأصحاب وليس صاحباً أو صاحبين كما هي العادة عند الوقوف على الطلل؛ وذلك لتفخيم الموقف والمبالغة فيه، فهو تجسيد لحالة إنسانية طلب فيها أصحابه منه التجاهل وتناسي الذكريات، فلا يقصدون من وراء ذلك التكليف والإيجاب في النهي فجااء النصيح من المساوي له في المنزلة.

• النهي بلفظ الخبر

يُستعمل الخبر بمعنى النهي، إذ يخرج إليه الخبر مجازاً، فيرد الكلام في اللفظ خبراً، وهو في المعنى إنشاء، والغرض منه النهي عن الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿أَلْهَأَكُمُ النَّكَاتُ﴾^(٢٨)، وأشار ابن السجري إلى أن النهي قد يرد بغير صيغة النهي (لا تفعل)، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾^(٢٩)، قال بمعنى (لا ترغبوا في متاع الدنيا)^(٣٠).

أما الزمخشري فيرى أن النهي بلفظ الخبر أبلغ من النهي الصريح أي من صيغة (لا تفعل)، ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٣١)، "لا تعبّدون إخبار في معنى النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، كأنه سُورع إلى الامتثال والانتهاز، فهو يخبر عنه، وتنصره قراءة عبد الله وأبي (لا تعبّدوا) ولا بدّ من إرادة القول، ويدلّ عليه أيضاً قوله: (وقولوا)^(٣٢). إذن فالنهي بلفظ الخبر يكون في مقام النّم أو المدح، أو في مقام الوعيد، أو في منزلة أنّ المخاطب مُستجيب للطلب، وبذلك تخبره إخباراً دون الطلب^(٣٣).

أما البلاغيون فقد بيّنوا أسباب استعمال الخبر في موضع الطلب، ومن الأسباب التي ذكروها: "حمل المخاطب على المذكور أبلغ حمل بألطف وجه ... قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾^(٣٤)، في موضع لا تسفكوا"^(٣٥). ومن هذا المعنى نراه في قول زهير بن مسعود الضبي^(٣٦):

فوقفتَ تسألُ هامداً كالحُدِّ - لِ بَيْنِ جَوَائِمِ حُلْسِ

نلاحظ في البيت المتقدم أنّ صيغة الخبر في قوله (تسأل هامداً) قد خرجت إلى معنى النهي مجازاً، وتقدير الكلام لا تسأل هامداً، فأفاد الكلام الخبر في اللفظ، وفي المعنى أفاد النهي عن هذا الفعل، فلا يُراد بصيغة الخبر الإخبار هنا، وإنما أراد النهي عن الوقوف والسؤال عن الرّسم البالي، وكان الشاعر

هنا استعان بأسلوب الخبر ليكون النهي أبلغ مما لو قال لا تسأل فقد أكد بأسلوب الخبر حقيقة أن السؤال موجّه إلى شيء هامد لا حياة فيه. فالأولى والأجدر النهي عن سؤال ما كانت هذه صفة. وكقول امرئ القيس: (٣٧)

وإن شِفائي عبْرَةَ مَهْرَاقَةٍ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ

لو تدبرنا البيت نلاحظ أن صيغة الخبر قد خرجت من معناها الحقيقي إلى معنى النهي في قول (فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ)، فالتقدير: لا تُعَوَّل على رسم دارسٍ. وواضح من خلال السياق إن صيغة الخبر هنا لا يُراد بها المعنى الحقيقي وإنما خرجت إلى النهي، وما يُعضد ذلك أن الشاعر صدّر عجز البيت بأداة الاستفهام (هل) المتضمنة لمعنى النفي بدليل زيادة (من) التي لا تُزاد إلا في سياق النفي، فكان المعنى المستخلص من جملة الكلام هو ألا تُعَوَّل على رسم دارسٍ. فكان التعبير بأسلوب الخبر عن النهي أكثر بلاغة مما لو صرح به.

• النهي بأسلوب بعض أفعال الأمر

قد يرد النهي بأسلوب أفعال الأمر، وهذه الأفعال معناها طلب الكف والامتناع عن الفعل، وهي في الأصل أفعال أمر ولكن تدلّ على معنى النهي، ويكون معنى صيغتها كصيغة لا تفعل في النهي، ومن هذه الأفعال (اجتنب، اترك، كف، ذر، دع، انتبه) حيث قال الراغب الاصفهاني في صيغة النهي " وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظة أفعّل نحو: اجتنب كذا، أو بلفظة لا تفعل" (٣٨).

وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٩) فقد ورد في هذه الآية النهي بصيغة فعل الأمر الدال على الكف والامتناع، فإن الله تعالى ينهاهم عن مثل هذه الأعمال لأنها من عمل الشيطان، ونحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤٠). وهذا الأسلوب نجده في المقدمة الطلّية في قول عنتر بن شداد (٤١):

يا صاحبي لا تبك ربعا قد خلا ودع المنازل تشتكى طول البلى

نلاحظ ورود النهي بصيغة فعل الأمر الذي يدلّ على الكف والامتناع، وذلك في مادة (دع المنازل)، فالشاعر ينهى صاحبه عن البكاء على ربع خالٍ فلا جدوى منه بل يأمره أن يترك المنازل هي تشتكى

قَدَمَها واندثارها، فصيغة (دَعِ الْمَنَازِل) في الأصل فعل أمر بمعنى اتركْ المنازل، ولكن دَلَّت على معنى النَّهْي، وبذلك خرج أسلوب الأمر من معناه الحقيقي إلى معنى النَّهْي.

• النَّهْي بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ

قد يرد النَّهْي بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ، إذ يخرج إليه الاستفهام مجازاً، وقد أشار إليه الـمَشَقِيُّ فقال: " استعمال الاستفهام في النَّهْي نظير استعماله في الأمر، لأنَّ الأمر بالشيءِ نَهْيٌ عن ضده، وبالعكس"^(٤٢)، وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾^(٤٣)، أي لا تغتر. وهذه الصيغة قد وردت في قول هذبة بن الخشرم^(٤٤):

أَتُنَكِّرُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ أَنْتَ عَارِفٌ أَلَا لَا بِلِ الْعِرْفَانِ فَالِدَمْعُ ذَارِفٌ

نلاحظ أسلوب الاستفهام في البيت المتقدم لا يُراد به الاستفهام الحقيقي، وقد خرج إلى معنى النَّهْي، فالشاعر يجسد من نفسه شخصية أخرى ويخاطبها بأنَّه يعرف الدار وينهاه عن إنكارها وتقدير الكلام (لا تنكّر رسم الدار)، فصيغة الاستفهام بـ(الهمزة) قد خرجت إلى معنى النَّهْي، لأنَّ الشاعر لا يريد باستفهامه السؤال حقيقة بل مجازاً لإفادة معنى النَّهْي. ونحو قول امرئ القيس^(٤٥):

أَلَا عِم صَبَاحاً أَيُّهَا الظُّلُّ البَالِي وَهَل يَعْصَن مَنْ كَانَ فِي الغُصْرِ الخَالِي
وَهَل يَعْصَن مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْراً فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالِ

لو تدبرنا البيتين المتقدمين نلاحظ ورود النَّهْي بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ في قوله (وَهَل يَعْصَن) فقد خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى النَّهْي، والتقدير: (ولا يَعْصَن مَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الأَطْلَالِ بَالِيًا إِذْ كَيْفَ يَنْعَمُ مَنْ كَانَ عَهْدُهُ بِالحَيَاةِ بَعِيدًا)، وكأنَّ الشاعر قد استدرك على نفسه في عجز البيت بعد أن جاء في صدره تحية هذا الظلِّ بالإِنعام صباحًا. فصيغة الاستفهام بـ(هل) خرجت إلى المعنى المجازي وهو النَّهْي.

• صِيغَةُ النَّهْيِ بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالمَجَازِ

النَّهْي هو طلب الكفِّ والامتناع عن عمل ما، وقد اشترط البلاغيون في صيغة لا تَفْعَلْ أن تتضمن الاستعلاء والإلزام لأجل تسميته نهياً، كما اشترطوا ذلك في صيغة الأمر أن يكون على سبيل الاستعلاء ليدل الأمر على وجوب الفعل، وعندهم التَّحريم هو المعنى الحقيقي للنَّهْي^(٤٦)، فقد عرَّفوا النَّهْي بأنَّه: "طلب التَّركِ استعلاءً فيشمل التَّحريم والكراهة"^(٤٧)، وقال السَّكَّاكِيُّ: " والنَّهْي مَحْذُورٌ بِهِ حَذْوُ الأَمْرِ فِي أَنَّ أَصْلَ اسْتِعْمَالِ لا تَفْعَلْ أَنْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعْلَاءِ بِالشَّرْطِ المَذْكُورِ فَإِنْ صَادَفَ ذَلِكَ أَفَادَ الوُجُوبَ وَإِلَّا

أفاد طلب الترك فحسب^(٤٨)، وكذلك ذهب ابن فارس إلى أنه ليس بين الأمر والنهي أدنى فرق في الدلالة على الوجوب^(٤٩). فإذا فُقد هذا الشرط خرج إلى معانٍ مجازية تُفهم من السياق وقرائن الأحوال، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾^(٥٠).

• المعاني المجازية للنهي

يخرج النهي من معناه الحقيقي الى معانٍ مجازية متعددة تُفهم من قرائن الأحوال، ومن المعاني التي خرج إليها النهي:

١. الالتماس

يخرج النهي الحقيقي الى معنى الالتماس، وذلك إذا كان الطلب صادراً من شخص مساوٍ قدرًا ومنزلةً للمخاطب، كقولك لمساويك: (لا تَعْلَنْ) من دون استعلاء ولا إلزام^(٥١)، ونحو قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بَنُ أُمَّ تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٥٢). وخرج النهي الى معنى الالتماس مجاز مرسل والعلاقة بينهما الإطلاق، ويقول صاحب مواهب الفتاح: "العلاقة مجرد الطلب فهي من استعمال ما للأخص الذي هو طلب الكفّ استعلاءً في الأعم الذي هو مطلق وهذا المعنى نجده في قول امرئ القيس^(٥٤):"

أَلَمَّا عَلَى الرَّبِيعِ الْقَدِيمِ بَعْسَعَسَا كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِّمُ أَخْرَسَا
فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَعَهْدِنَا وَجَدْتُ مَقِيلًا عِنْدَهُمْ وَمُعْرَسَا
لَا تُشْكِرُونِي إِنِّي أَنَا ذَاكُمُ لِيَالِي حَلِّ الْحَيِّ غَوْلًا فَأَلْعَسَا

إذا تدبرنا قول الشاعر نلاحظ صيغة النهي (لا تُشْكِرُونِي) وقد أسندت إلى الجمع المخاطب، وقد خرجت هذه الصيغة إلى النهي غير الحقيقي، فالشاعر يخاطب أهل الدار وقد بانوا، وذلك بحزنٍ منه عليهم وقد كان جارهم فينهاهم عن إنكاره، وواضح من خلال المعنى إنّ النهي قد خرج من معناه الحقيقي إلى المجاز المرسل لقصد الالتماس لكون الشاعر قد خاطب نظراءه رتبةً ومنزلةً، لأنّ الشاعر لا يقصد بهذا الأسلوب التكليف والإلزام ولم يكن على وجه الاستعلاء، وإنما طلباً للالتماس. وكقول عنتر بن شداد^(٥٥):

يَا صَاحِبِي لَا تَبِكْ رِبْعًا قَدْ خَلَا وَدَعِ الْمَنَازِلَ تَشْتَكِي طَوْلَ الْبَلِي

نلاحظ صيغة النهي في قوله (لا تَبِكْ)، قد أسندت الى الضمير المخاطب، فالشاعر ينهى صاحبه من البكاء على المنزل الذي درس وبلي، فالبكاء لا ينفع في رد الديار وأماكن الصحب والسمر، فأسلوب النهي قد خرج من المعنى الحقيقي الى المجاز المرسل، وذلك لقصد الالتماس، لأنّ النهي

صادر من شخص مساوٍ له في المنزلة، من دون استعلاء ولا إيلام. ويبدو لي أن شخصية الصاحب في هذا البيت وفي غيره هي شخصية خيالية اجتلبها الشاعر ليعبر من خلالها عما يحس به من مشاعر فالصاحب هو الشاعر نفسه وكأنه يكلم نفسه.

٢. النصح والإرشاد

قد يخرج النهي إلى معنى النصح والإرشاد، وذلك إذا كان الطّلب يدلّ على النصح ورغبته في امتثال المخاطب إلى نصحه وإرشاده، فيقصد به توجيهه إلى طريق الصواب^(٥٦)، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٥٧). وقد ورد هذا المعنى في قول امرئ القيس^(٥٨):

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ

إذا تدبّرنا قول الشاعر نلاحظ ورود صيغة النهي في مادة (لا تهلك) مسندةً إلى الضمير المفرد المخاطب، ومعنى البيت قد وقف أصحابه عليه رواحلم ينهونه عن إظهار الجزع والحزن ويأمرونه بالصبر والتجمل به. فالملاحظ هنا أنّ صيغة النهي لا يُراد بها المعنى الحقيقي، وإنّما خرج أسلوب النهي إلى معنى النصح والإرشاد؛ وذلك لأنّ أصحاب الشاعر يُريدون نصحه والتخفيف بعض الشيء ممّا أصابه من اللوعة والحزن، فلا يقصدون من وراء ذلك التكليف والإيجاب في النهي فجاء النهي من المساوي له في الرتبة لا من الأعلى منزلة. وكقول عمرو بن الاهتم^(٥٩):

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ
فَقُلْتُ لَهُمْ عَهْدِي بِرَيْبِ تَرْتَعِي
يَقُولُونَ لَا تَجْهَلْ وَلَسْتَ بِجَهَّالٍ
مَنَازِلَهَا مِنْ ذِي سُذِيرِ قَذَى ضَالٍ

إذا تدبّرنا قول الشاعر نلاحظ ورود النهي في قوله (لا تجهل) فالشاعر يطلب من أصحابه أن يوقفوا رواحلم ولكنهم يقولون له أن ينسى الديار فلا فائدة من الوقوف عليها إلا أنّه يرفض ذلك. فالملاحظ هنا إنّ صيغة النهي (لا تجهل) لا يُراد بها المعنى الحقيقي، وإنّما خرج الأمر إلى معنى النصح والإرشاد؛ وذلك لأنّ أصحاب الشاعر يُريدون نصحه بأن يترك الذكريات وينسى الماضي، فالشاعر اختار هنا مجموعة من الأصحاب وليس صاحباً أو صاحبين كما هي العادة عند الوقوف على الطلل؛ وذلك لتفخيم الموقف والمبالغة فيه فهو تجسيد لحالة إنسانية طلب فيها أصحابه منه التجاهل وتناسي الذكريات، فلا يقصدون من وراء ذلك التكليف والإيجاب في النهي فجاء النصح من المساوي له في المنزلة.

الخاتمة

١. اجمع النحويون والبلاغيون على أنّ للنهي صيغة واحدة هي لا الناهية الموضوعية لترك الفعل وتختصّ بالدخول على الفعل المضارع فتجزمه وتخلصه للاستقبال.
٢. ويبيّن البحث أنّ أسلوب النهي قد جاء بغير صيغته الأصلية فقد جاء بصيغة الخبر التي يُراد بها النهي، وبأسلوب بعض أفعال الأمر، وأيضاً جاء بأسلوب الاستفهام.
٣. إنّ أسلوب النهي في المقدمة الطليّة لم يرد للنهي الحقيقي، وإنّما خرج إلى أغراض شعرية أخرى، فقد خرج إلى معنى الالتماس، وإلى معنى النصّح والإرشاد. ويبدو أنّ سبب ذلك يعود إلى أنّ الشاعر حين وقوفه على الطلل يقف منكسراً حزيناً فلا مجال للنهي الحقيقي هنا؛ لأنّ الموقف يتطلب منه أن يكون حتّى في نهيه ملتماً، وأحياناً ناصحاً ومرشداً.

• مصادر البحث ومراجعته

- (١) يُنظر: لسان العرب: أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر-بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ: ص ٣٤٣/١٥.
- (٢) يُنظر: جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م: ص ٩٩٦ / ٢.
- (٣) العلق: ٩، ١٠.
- (٤) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ: ص ٨٢٦.
- (٥) الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيوييه (المتوفى: ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ص ١/ ١٣٦، ويُنظر: الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت: ص ١٥٧ / ٢.
- (٦) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ص ٢٤٨.
- (٧) يُنظر: دستور العلماء: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ص ٣ / ٢٩٥، وينظر: التطبيق النحوي: ٢٩٧.
- (٨) الأمالي الشجرية: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١م: ص ١ / ٤١٤.

(^١) مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ص ٣٢٠.

(^{١١}) شروح التلخيص: شرح السعد، سعد الدين التفراني (ت ٧٩٢هـ) طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر: ص ٢ / ٣٢٤.
(^{١١}) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ: ص ٣ / ١٥٦.
(^{١١}) جواهر البلاغة: في المعاني والبيان والبدع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبطه وتوثيقه وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت: ص ٧٦، ويُنظر: بغية الإيضاح: ٢ / ٢٧٢، وعلم المعاني: ٨٣، والمنهاج الواضح للبلاغة: ٢ / ٩٢، والأساليب الانشائية: ١٥، ومن بلاغة النظم: ٨٧.
(^{١٣}) المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأردني، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. - بيروت: ص ٢ / ١٣٤.

(^{١٤}) مغني اللبيب عن كتب الأعريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين بن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥: ص ٣٢٣، ويُنظر: الجنى الداني: ٣٠٠، ووصف المباني: ٢٥٨.

(^{١٥}) مفتاح العلوم، مصدر سابق: ص ٣٢٠، ويُنظر: الإيضاح: ٣ / ٨٨، وشرح التلخيص: ٢ / ٣٢٠، وبغية الإيضاح: ٢ / ٢٧٢، والمنهاج الواضح للبلاغة: ٢ / ٩٢، ودلالات التراكيب: ٢٥٧، ومن بلاغة النظم: ٨٧.
(^{١٦}) الأعراف: ٥٦.

(^{١٧}) يُنظر: أساليب الطلّب عند النحويين والبلاغيين: الدكتور قيس إسماعيل الاوسي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، دت: ص ٤٧٣.

(^{١٨}) الاشباه والنظائر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م: ص ١ / ٤٢١، ويُنظر: أساليب الطلّب عند النحويين البلاغيين: ٤٧٣.

(^{١٩}) احياء النحو، إبراهيم مصطفى ت (١٣٨٢هـ-١٩٦٢م)، مكتبة لسان العرب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ص ٨٦.

(^{٢٠}) الممتحنة: ١.

(^{٢١}) ال عمران: ٢٨.

(^{٢٢}) يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين بن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥: ص ٣٢٣-٣٢٤، ويُنظر: همع الهوامع: ٢ / ٥٤١، والتطبيق النحوي: ٢٩٨.

(^{٢٣}) يُنظر: التعليقات على كتاب سيبويه، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي (الأستاذ المشارك بكلية الآداب)، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م: ص ٢ / ٢٠٨، يُنظر: شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٨٦، ومغني اللبيب: ٣٢٤، ومعاني النحو: ٨.

(^{٢٤}) مغني اللبيب، مصدر سابق: ص ٣٢٤.

- (٢٥) ديوان طرفة بن العبد: اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ص ٢٥.
- (٢٦) شرح ديوان عنتر، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ص ١١٣.
- (٢٧) يُنظر: شعر الزيرقان بن بدر، وعمرو بن الأهم: دراسة وتحقيق: الدكتور سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م: ص ٩٧.
- (٢٨) النكاث: ١.
- (٢٩) النساء: ٧٧.
- (٣٠) يُنظر: الامالي الشجرية، مصدر سابق: ص ٤١٥ - ٤١٦.
- (٣١) البقرة: ٨٣.
- (٣٢) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٣٨٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ: ص ١ / ١٥٩، ويُنظر: البرهان: ص ٣ / ٣٤٧.
- (٣٣) يُنظر: المعاني النحوية اسانيلها والفاظها عند العرب: عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي، ٢٠٠٣. ١٤٢٣، موقع رحي الحرف، ص ١١٣.
- (٣٤) البقرة: ٨٤.
- (٣٥) مفاتيح العلوم، مصدر سابق: ص ٣٢٥، ويُنظر: الإيضاح: ٣ / ٩٣، وبغية الإيضاح: ٢ / ٢٧٥، وشروح التلخيص: ٢ / ٣٣٨-٣٤٠.
- (٣٦) منتهى الطلب من أشعار العرب: جمع: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، تحقيق وشرح: الدكتور محمد نبيل دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م: ص ٥/٩.
- (٣٧) ديوان امرئ القيس، وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري (المتوفى ٢٧٥هـ)، تحقيق: أنور عليان ابو سويلم ومحمد علي الشوابكة، مكر زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الطبعة الأولى: م ١/١٧٤.
- (٣٨) المفردات في غريب القرآن: مصدر سابق: ص ٨٢٦.
- (٣٩) المائدة: ٩٠.
- (٤٠) الجمعة: ٩.
- (٤١) شرح ديوان عنتر: ١١٣.
- (٤٢) البلاغة العربية عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة المبداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م: ص ١ / ٢٩١، ويُنظر: أساليب بلاغية: ١٢٤، ومعاني النحو: ١١٤.
- (٤٣) الانفطار: ٦.
- (٤٤) ديوان هدية بن الخشم العُثري، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ١٢٤.
- (٤٥) ديوان امرئ القيس، مصدر سابق: ٢٧.

- (^{٤٦}) يُنظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: ص ١ / ٤٩٦، والأساليب الانتشائية: ١٥.
- (^{٤٧}) شروح التلخيص: حاشية النسوقي، مصدر سابق: ص ٢ / ٣٢٥، ويُنظر: إرشاد الفحول: ١ / ٤٩٦.
- (^{٤٨}) مفتاح العلوم، مصدر سابق: ص ٣٢٠.
- (^{٤٩}) يُنظر: الصاحبى في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، محمد علي بيضون الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م: ص ١٤٠.
- (^{٥٠}) ال عمران: ٨.
- (^{٥١}) يُنظر: من بلاغة النظم: ٨٨، وإرشاد الفحول: ١ / ٤٩٦، و الأساليب الانتشائية: ١٦، وأساليب الطلّب عند النحويين والبلاغيين: ٤٨٧.
- (^{٥٢}) طه: ٩٤.
- (^{٥٣}) شروح التلخيص: مواهب الفتاح: ٢ / ٣٢٧، ويُنظر: من بلاغة النظم: ٩٠.
- (^{٥٤}) ديوان امرئ القيس، مصدر سابق: ص ٥٤٧.
- (^{٥٥}) شرح ديوان عنتره: ١١٣.
- (^{٥٦}) يُنظر: من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥-١٩٨٤م: ص ٩١ - ٩٢، وأساليب الطلّب عند النحويين والبلاغيين: ٤٨٨، وإرشاد الفحول: ٤٩٦.
- (^{٥٧}) المائدة: ١٠١.
- (^{٥٨}) ديوان امرئ القيس، مصدر سابق: ص ١٧٢.
- (^{٥٩}) يُنظر: شعر الزيرقان بن بدر، مصدر سابق: ص ٩٧.